الفصل الثانى

البصرة الحديثة

ذكرنا قبل هذا فى محله أن الخليفة المعتمد على الله كان قد سير أخاه طلحة الملقب بالموفق بالله بجيش كبير إلى البصرة فى سنة ٢٦١ هـ لقتال على بن محمد القيسى صاحب الزنوج الذى أشغل الدولة العباسية بالحروب أعواماً فلما وصل الموفق البصرة ورأى صاحب الزنوج قد ابتنى بالقرب من البصرة مدينة كبيرة وحصنها بالأسوار والأبراج والعدد والعدد واتخذها مقراً للحركات الحربية ابتنى الموفق مدينة صغيرة على نهر الابلة أو على شط العرب تبعد عن البصرة القديمة بنحو ٢٨ ألف قدم (فوت) إلى الشمال الشرقى (أو تبعد عن القديمة بنحو ساعتين) لحسن موقعها الجغرافى وجعلها مركزاً عاماً لجيشة ومقراً للحركات الحربية فعرفت بالموفقية نسبة إليه فلما انتصر انتصاراً نهائياً على صاحب الزنوج وقتله فى سنة ٢٧١ هـ بقيت هذه المدينة عامرة ثم سميت على توالى الأعوام باسم البصيرة (تصغير البصرة) وصارت منتزهاً ومصيفاً للولاة والوجهاء فأبتنوا فيها القصور والمنازل حتى توسعت وزادت عمارتها على توالى الأيام وأخذ البصريون يهاجرون إليها رويداً رويداً فما تم خراب البصرة القديمة إلا وصارت هذه مدينة كبيرة وسميت البصرة واندس أسم الموفقية وأسم البصيرة وقامت مقام القديمة فى سنة ٧٠١ هـ فى عهد السلطان غازان أحد ملوك الدولة الإيلخانية التى أسسها

هولاكو المغولى فى العراق بعد دولة بنى العباس فى سنة ٦٥٦ هـ أعنى أنها قامت مقام القديمة فى أوائل القرن الثامن للهجرة الموافق لأوائل القرن الرابع عشر الميلادى .

البصرة الحديثة فى عهد الإيلخانيين

كانت البصرة الحديثة فى عهد الملك غازان أوقازان الإيلخانى المغولى تابعة لبغداد ترسل إليها الحكام من قبل الحاكم العام المقيم ببغداد وظلت على تلك الحال حتى مات هذا السلطان فى سنة ٧٠٣ هـ وتولى الملك ابنه السلطان خدابنده محمد ثم تولى بعده ابنه السلطان أبو سعيد بها درخان فى سنة ٧١٥ هـ وفى أيامه فى سنة ٧٢٥ هـ كان على البصرة أميراً ركن الدين الفارسى الثوريزى . فلما مات أبو سعيد هذا فى سنة ٧٣٦ هـ وتولى السلطنة أربا غارون أو ارباخان ثار حاكم العراق ببغداد على بادشاه فنادى بسلطنة موسى خان أحد أفراد الأسرة المالكة فقامت الفتن والحروب بين التتريين فتغلب على بعض البلاد الفراتية المماليك ملوك مصر والشام وتغلبت قبائل العرب على البصرة والكوفة وعلى أكثر البلاد الواقعة على حافة البادية وحافة سواد العراق. وانتهت فتنة التتريين بقتل أر باغاوون وصار الملك إلى موسى خان فقتل بعد بضعة أشهر فعادت الحروب بين أفراد العائلة المالكة وبقيت البلاد العراقية فوضى فحمل الشيخ حسن الكبير الجلائرى التترى بجيش جرار وكان أميراً على التتر الرحل المبثوثين فى آسيا الصغرى فالتقى بحاكم العراق موسى خان وبعد حروب انتصر عليه وقتله ثم سار إلى العراق فاستولى عليه فى سنة ٧٣٨ هـ وأسس الدولة الجلائرية فى العراق .

البصرة فى أيام الدولة الجلائرية وأيام تيمور لنك

بعد أن استقر أمر الشيخ حسن الكبير مؤسس الدولة الجلائرية التترية فى العراق فى سنة ٧٣٨ هـ وجه الولاة إلى البلاد ومنها البصرة فبقيت هذه المدينة يحكمها رجاله إلى أن توفى فى سنة ٧٥٧ هـ وتولى العراق ابنه السلطان أويس ثم مات فى سنة ٧٧٦ هـ فأستقل بالعراق ابنه السلطان حسين فقتله أخوه السلطان أحمد فى سنة ٧٨٤هـ وجلس مكانه فقامت المعارك والحروب بين رجال الأسرة المالكة حتى ضعفت الدولة فى الوقت الذى كان فيه الفاتح المشهور تيمور لنك ملك التتر قد قوى أمره وعظمت سطوته واستولى على بلاد كثيرة كفارس وخراسان وسجستان وأفغانستان وأذربيجان وغيرها حتى وجه نظره إلى العراق فحمل عليه فى سنة ٧٩٥ هـ فأنهزم السلطان أحمد لعدم قدرته على صده فأستولى تيمور لنك على بغداد أولاً ثم على بقية المدن العراقية فوجه الولاة إلى الأمصار وترك فى كل مدينة حامية وسار هو لفتح الهند .

وكان السلطان أحمد قد فر إلى مصر ملتجأ بسلطانها الملك الظاهر برقوق فجهز له جيشاً كبيراً وسيره معه إلى بغداد فلما أقترب منها انضمت إليه أكثر القبائل العراقية فحاصر بغداد فأضطر الحاكم الأمير مسعود البزاوى إلى الهزيمة منها فدخلها السلطان أحمد فى سنة ٧٩٧ هـ فعادت له أكثر المدن العراقية .

أما تيمور لنك فأنه بلغه ما قام به السلطان أحمد الجلائرى من استرجاع العراق فكر راجعاً فى سنة ٨٠٣ هـ وبعد حروب استولى على بغداد عنوة (مرة ثانية فى السنة نفسها) .

ومات تيمور لنك فى سنة ٨٠٨ هـ أثناء عودته من بلاد الصين فتولى الملك بعده حفيده خليل بن ميران شاه بن تيمور لنك فأغتنم الفرصة السلطان أحمد الجلائرى فعاد إلى العراق واستنفر القبائل العراقية فأنضم إليه خلق كثير وبعد معارك استرد بغداد فى السنة نفسها ثم استرد بقية المدن العراقية فأستقام أمره فى العراق .

ولم يكد السلطان أحمد يستريح من تيمور لنك ومن قام بعده حتى حدثت بينه وبين قره يوسف التركمانى صاحب ديار بكر وأذربيجان حروب فى سنة ٨١٣ هـ انتهت بقتل السلطان أحمد غدراً فى السنة نفسها فى جوار تبريز ثم أنفرضت دولة الجلائريين فى سنة ٨١٤ هـ وقامت على أنقاضها فى العراق دولة الخروق الأسود التركمانية [١] وكانت البصرة فى أيام الجلائريين كغيرها من بلاد الرافدين بحكمها الولاة المستبدون ولم يصلنا عنها خبر يستحق الذكر .

وأول من ملك العراق من ملوك دولة الخروف الأسود قرة يوسف ثم ولى على العراق ابنه الشاه محمود فى سنة ٨١٥ هـ فقتل فى سنة ٨١٧ هـ فتولى العراق أخوه الشاه محمد بن قره يوسف فقتل أيضاً فى سنة ٨٤١ هـ وصارت السلطنة إلى مير زاجهان شاه بن قره يوسف وتم أمره فى العراق وديار بكر وأذربيجان وفارس وكرمان فولى ف سنة ٨٦٧ هـ على العراق ابنه بير بداق غير أن الحروب بقيت بين رجال هذا البيت حتى ضعف أمرهم وأصبحت البلاد التى تحت حكمهم

---

[١] سميت دولة الخروق الأسود (قرة قويونلى) لأن ملوكها كانوا يرسمون على أعلامهم خروقاً أسوداً كما كانت دولة الخروق الأبيض ترسم على أعلامها خروقاً أيضاً .

ومـــنها البصـــرة فوضى تقريباً ولم تكد تلك الفتن تنتهى حتى طمع فى هذه الدولة حســـن الطويـــل التركمانى مؤسس دولة الخروق الأبيض (آق قو يونلى) فى ديار بكـــر فقـــامت بينه وبين جهان شاه حروب دامت سنتين فأنتهت باستيلاء حسن الطويـــل (اوزون حســـن) بن على بيك على قسم من بلاد هذه الدولة فى سنة ٨٧٢ هـــ ثم عادت الحروب بين الدولتين فأنجلت عن انقراض هذه الدولة فى سنة ٨٧٤ هـــــ فقامت مكانها فى العراق دولة الخروف الأبيض . ولم يملك العراق من رجـــال دولة الخروف الأسود غير أربعة ملوك ولم يكن ملكهم فى هذا القطر أكثر من ستين سنة .

ولم يكـــن رجـــال دولة الخروف الأبيض أهلاً للملك بل كانوا كرجال الدولة الـــتركمانية المنقرضة ومن أجل ذلك قامت بين أفراد الأسرة المالكة حروب عنيفة بعـــد مـــوت حســـن الطويـــل فى سنة ٨٨٣ هـــ فقتل أكثرهم واستمرت الفتن والحـــروب حتى تولى أخرهم السلطان مراد بن يعقوب شاه فى الوقت الذى كانت فيـــه الدولـــة الصفوية الفارسية قد قوى أمرها وفتحت بلاداً كثيرة فحمل الشاه إسمـــاعيل الصفوى على العراق فى سنة ٩١٤ هـــ وأخذه من السلطان مراد بعدة حروب . ولم تكن مدة حكم دولة الخروف الأبيض فى العراق أكثر من أربعين سنة ولم يصـــلنا عن البصرة فى عهد هاتين الدولتين التركمانيتين شىء يستحق الذكر ولا شـــك أنهـــا كـــانت فى اضـــطراب كغيرها من المدن العراقية بسبب توالى الفتن والحروب منذ قامت الخروف الأسود إلى أن انقرضت دولة الخروف الأبيض هذه .

البصرة فى عهد
الدولة الصفوية الفارسية

كان الشاه إسماعيل الصفوى بن حيدر مؤسس الدولة الصفوية فى إيران قد فتح بلاداً كثيرة وأسس مملكة واسعة الأطراف وكان طامحاً فى العراق فلما قوى أمره ورأى أصحاب العراق قد انهكتهم الحروب الداخلية حمل عليه فى سنة ٩١٤ هـ كما تقدم وبعد حروب استولى على بغداد أولاً ثم على غيرها فدانت له أكثر بلاد الرافدين ولكنه لما أنشغل فى حروب خراسان حمل السلطان مراد بن يعقوب شاه على بغداد فى سنة ٩١٦ هـ فأستردها فأعاد الكرة الشاه إسماعيل فطرد السلطان مراد من العراق طرداً نهائياً وقرض دولة الخروق الأبيض التركمانية فى سنة ٩٢٠ هـ وولى على العراق حاكماً عاماً أحد رجاله المدعو إبراهيم خان وجعل مقره بغداد فولى هذا الأمير على البلاد التابعة له رجالاً من خاصته ومنها البصرة .

وتوفى الشاه إسماعيل فى سنة ٩٣٠ هـ فتولى الملك ابنه الشاه طهماسب الأول وكان قاسى الحكم فولى على البلاد العراقية رجالاً قساة مثله فظلموا الناس حتى أضطر أكثر أهل البلاد إلى الهجرة من أوطانهم وعصت أكثر القبائل العراقية واستقلت بنفسها .

وتغـــلب فى الســـنة نفسها ٩٣٠ هـــ على بغداد الأمير ذو الفقار بن نخود سلطان [١] رئيس قبيلة موصلو من عشيرة كلهور الكردية وكان قبل ذلك مستولياً عـــلى أطراف لورستان فلما دانت له بغداد وبعض مدن الرافدين احتمى بالسلطان سليمان القانونى العثمانى وأرسل إليه وفداً من بغداد لعرض الطاعة والدخول تحت ســـيادته وخطب له على المنابر وضرب السكة بأسمه . أما الشاه كهماسب فأنه لما بلغـــته أعمال ذى الفقار تريث حتى إذا ما كانت سنة ٩٣٦ هـــ حمل على بغداد بجيشـــه فحاصرها ولكنه لما عجز عن أخذها بالقوة لحصانة أسوارها يوم ذاك ركن عـــلى الخـــداع (والحـــرب خدعة) فأغرا على بيك وأحمد بيك أخوى ذى الفقار وأطمعهمـــا بالمناصـــب الرفيعة والمال فأنخدعا فأغتالا أخاهما وقتلاه غدراً وسلموا المدينة إلى الشاه فى سنة ٩٣٦ هـــ وعلى أثر سقوط بغداد سلمت أكثر المدن فولى الشاه على العراق حاكماً عاماً بكلو محمد خان وجعل مقره بغداد فولى هذا الأمير على البصرة والجزائر قانصوبيك الفارسى وبقيت هذه المدينة وسائر المدن العراقية خاضعة للفرس حتى حمل السلطان سليمان القانونى على العراق ودخل بغداد فاتحاً فى سنة ٩١٤ هـــ .

---

[١] ويـــروى أنـــه كان أميراً على بغداد من قبل الشـــاه وقد وجهت إليه غمارتها فى سنة ٩٣٤ هـــ فخلع الشاه طهماسب بعد أشهر وأعلن استقلاله. وقيل وجهت إليه إمارتها فى سنة ٩٣٠ هـــ فأستقل فيها .

البصرة فى العهد العثمـــــــانى الأول

يقـــول بعض المؤرخين أن الذى حمل السلطان سليمان القانونى على أشهار الحرب على الصفويين قسوة الفرس واضطهادهم السنة أبناء مذهبه فى الوقت الذى كانت الدولة العثمانية قد بلغت فيه مبلغاً عظيماً من القوة .

فصـــمم السلطان على الانتقام منهم فأعلن الحرب عليهم فأفتتحت جيوشه تـــبريز ثم بغداد فى سنة ٩٤١ هـــ ثم الموصل ودانت له بلاد الرافدين . ولعله أتخذ اضـــطهاد أبـــناء مذهـــبه ذريعة للاستيلاء على هذا القطر شأن أكثر الملوك حينما يخدمهم السعد وتقبل عليهم الدنيا .

أمـــا البصـــرة فأنها كانت يوم مجيء السلطان سليمان إلى بغداد بعد دخول جيشـــه فيهـــا بأيام تحت حكم أمير فارسى أسمه راشد خان وكان قد بلغه سقوط بغـــداد وغيرهـــا فخاف على نفسه ومنصبه فسار إلى بغداد للمثول بين يدى هذا الفاتح الكبير فلما قدمها عرض الطاعة والخضوع فأقره السلطان على البصرة على شـــرط أن تكون الخطبة والنقود بأسم السلطان وأن يكون ممتثلاً لأوامر ولاة بغداد الأتراك فى المسائل الهامة فعاد راشد خان إلى منصبة ولكنه استبد بالأمور بعد أشهر كـــأن لم تكـــن له رابطة بالدولة العثمانية فأضطرت إلى إرسال جيش بقيادة الوزير

إيـــاس باشا لطرد راشد خان من البصرة [1] فلما أقترب جيش الأتراك فر راشد خان فدخل الأتراك البصرة بدون حرب فى سنة ٩٥٣ هـــ فنظم إياس باشا شئون البصرة وضم إليها واسطاً وجزائر شط العرب .

وظـــلت البصرة فى قبضة الأتراك التابعين لولاة بغداد إلى سنة ١٠٠٥ هـــ فأستقل بها أمراؤها واستبدوا فيها وحكموا أهلها بما تشتهيه نفوسهم ودخلت سنة ٩٧٠ هـــ فوجهت إمارة البصرة إلى درويش على باشا التركى وكان هذا سيء الـــتدبير غـــير كفؤ للحكم فزل نفوذه وقلت الأموال عنده حتى عجز عن أرزاق الجند المحافظين للمدينة .

---

(١) ويـــروى أن الســـلطان سليمان باشا لما استولى على العراق كان على البصرة حاكماً مغـــامس بن مانع وهو الذى خضع للسلطان وأرسل ابنه راشد لعرض الطاعة فحكم مغامس البصرة ست سنوات ثم أستبد بالأمور وعصى على ولاة بغداد الأتراك وكان سبب عصيانه أن جماعة ممن عصوا حكومة بغداد كانوا قد التجأوا بمغامس فطلبهم والى بغداد منه فأمتنع عن تسليمهم فأشتد الخلاف حتى عصى مغامس فكتب بذلك الوالى على السلطان فأمر بطرده من البصرة وسيره جيشاً لأخذها منه بقيادة والى بغداد إياس باشا وبعد حروب أنهزم مغامس إلى نجد فأستولى الجيش العثمانى على البصرة وذلك فى سنة ٩٥٣ هـــ .

استقلال
الأمراء بالبصرة

كان رجل فى البصرة يدعى افراسياب الديرى [١] وكان كاتباً لأميرها على باشـــا فلما ضعف أمر الأمير وقلت عنده الأموال وعجز عن تدبير شؤون الإمارة وإعاشـــة الجـــند حتى أستخف به الأهلون تساوم مع كاتبه افراسياب على إمارة البصـــرة فباعها له بثمانية أكياس من الذهب (والكيس ثلاثة آلاف محمدية) على شـــرط أن يكون افراسياب خاضعاً لسلاطين آل عثمان وأن يخطب لهم على المنابر ويضـــرب الســـكة بأسمـــائهم وعلى هذه الشروط استلم افراسياب إمارة البصرة وأســـتلم عـــلى باشا المال وصار على الآستانة وذلك فى سنة ١٠٠٥ هـــ فى عهد الســـلطان مـــراد الثالث وهذا الحال أعنى بيع إمارة كإمارة البصرة التى هى باب العـــراق ســـواء علم بذلك السلطان أو بالعكس مما يدل على شيوع الفوضى فى المملكة العثمانية يوم ذاك .

ولم تمـــض عـــلى أمر افراسياب أشهر حتى قوى أمره وخافه الأمراء وكان أهلاً للإمارة فاحبه الناس لسيرته الحسنة ثم أستولى على أكثر الجزائر ومنع ما كان يأخذه من البصرة حاكم الحويزة السيد مبارك خان من الجوائز السنوية التى كانت أشـــبه بالجـــزية (أو الخـــاوة) وكذلك منعه من أخذ شيء من جهة شط العراب

---

[١] الديـــرى نسبة إلى الدير الذى هو موضع فى شمال البصرة . ويروى أن افراسياب من نسل آل سلجوق الأتراك وأن أهل الدير أخواله .

الشرقية [١] وظل السعد يخدم افراسياب حتى بقى مستقلاً بالبصرة وما يتبعها سبع سنوات ، فتوفى بالبصرة فى سنة ١٠١٢ هـ وتولى الإمارة ابنه على باشا بوصية منه وكان حازماً كأبيه فأفتتح بقية الجزائر [٢] وكوت معمر وكوت الزكية وفتح صدره للعلماء والشعراء وأمن السبل ، وفى أيامه ولد بالبصرة فى سنة ١٠٢٥ هـ شهاب الدين بن معتوق الموسوى البصرى الشاعر المتوفى سنة ١١١١ هـ .

وفى أيامه فى سنة ١٠٣٦ هـ زحف القائد الفارسى صفى قلى خان بجيش كبير من الفرس على البصرة بأمر من الشاه عباس الأول بعد أن أفتتح الشاه بغداد فى سنة ١٠٣٢ هـ فحاصر هذا القائد البصرة حصاراً شديداً دافع فى خلاله على باشا دفاع الابطال وبينما هم فى ذلك إذ فاجئهم خبر موت الشاه فتركوا الحصار وعادوا إلى بغداد إذ كان صفى قلى خان يوم ذاك قائداً لجيش بغداد الفارسى .

وبقى على باشا منفرداً بالحكم حتى مات فى سنة ١٠٥٧ هـ فتولى الإمارة ابنه حسين باشا فورده منشور السلطان بتوجيه الإمارة إليه على جرى العادة فى ذلك العهد فأستبد بالأمور وأساء السيرة والتدبير وظلم الأهلين حتى كرهوه

---

(١) يقول بعض المؤرخين أن السيد مبارك هذا هجم بمجموعة سنة ١٠٠٦ هـ على قرى البصرة فقتل ونهب فوجهت الدولة العثمانية إيالة بغداد للوزير حسن باشا وأودعت إليه قيادة جيوش العراق وضمت إليه شهر رور على أن يقمع الفتن التى يثيرها السيد مبارك فى جهات البصرة . والظاهر أن المؤرخ أخطأ فى التاريخ وأن الحادثة كانت قبل بيع إمارة البصرة إلى افراسياب. والحويزة قصبة بخورستان أعنى الأهواز .

(٢) الجزائر هى الجزائر المتكونة من سواعد شط لعرب وكانت كثيرة منها قرية بنى منصور وقرية بنى حميد ، ونهر عنتر ونهر صالح وديار بنى أسد وديار بنى محمد، والفتحة ، والقلاع ونهر السبع ونهر صالح والباطنة والمنصورية والإسكندرية ومواضع أخر وكانت الجزائر تشتمل على قرى عديدة معمورة وطوائف كثيرة وهى كثيرة المياه وعرة المسالك .

ونقموا عليه ثم حدثت بينه وبين عميه أحمد أغا وفتحى بك ولدى افراسياب وحشة فسارا إلى عاصمة آل عثمان فشكيا إلى السلطان أعمال حسين باشا واستبداده وظلمه فأصدر السلطان محمد الرابع أمره بطرده من البصرة وبتجهيز الجيوش بقيادة والى بغداد مرتضى باشا فجهزت الجيوش من بغداد وغيرها من المدن العثمانية وسار مرتضى باشا قاصداً البصرة فى سنة ١٠٦٣ هـ .

وبلغ ذلك حسين باشا فأستعد للحرب وحصن القلاع خصوصاً قلعة القورنة [1] فالتقى الجيشان وبعد قتال حاصر مرتضى باشا البصرة ودام الحصار ثلاثة أشهر وانتهى الأمر بهزيمة حسين باشا ودخول مرتضى باشا البصرة ظافراً فى سنة ١٠٦٤ هـ وفر حسين باشا بأهله وأمواله وحاشيته إلى بلاد إيران .

ولما دخل مرتضى باشا البصرة صادر أموال جماعة من الوجهاء وقتل بعض الأعيان الموالين لحسين باشا ثم قتل أحمد أغا وفتحى بك واستعمل الشدة والظلم حتى نقم الناس وكرهوه بينما كان الحال بأضطراب إذ حدثت فتنة بين جنود مرتضى باشا الذين فى القورنة فثار أهل الجزائر على الباشا وتبعهم أعراب قشعم والمستفكيون وخزاعل وبنو كعب وبنو لام فقتلوا عماله وأصبحت البصرة محاطة بالثائرين فأضطر مرتضى باشا إلى الخروج من البصرة منهزماً بعساكره إلى بغداد .

وعلى أثر انسحاب مرتضى باشا من البصرة أرسل البصريون غلى أميرهم الفار حسين باشا يطلبون قدومه إليهم فأقبل فى السنة نفسها ١٠٦٤ هـ فدخل المدينة باحترام وعاد إلى منصبه فدان للسلطان وكتب إليه بطلب عفوه ويرجوه توجيه الإمارة إليه وقدم إليه هدايا ثمينة فصدر منشور السلطان بتوجية إمارة

---

(١) القورنة كانت قلعة صغيرة فلما تولى البصرة على باشا ابن افراسياب زاد فيها وجعلها قلعة كبيرة فسميت العلبة ثم زاد فى تشييدها واتقانها حسين باشا بن على باشا وجعلها ثلاث قلاع حصينة .

البصرة إلى حسين باشا ولقبه بلقب الوزير أيضاً على عادة السلاطين فى ذلك العهد مـــع كل أمير قوى . رظل حسين باشا مستقلاً بالبصرة ولكنه أعاد حكمه القاسى وأســـتبد بالأمور وظلم الناس وتجبر ثم طمع بالاحساء فسير لأخذها جيشاً فى سنة ١٠٧٣ هـــ فأفتـــتحها جيشـــه عنوة وفتك بأهلها فتكاً ذريعاً ونهب وقتل وفر حاكمها محمد باشا إلى عاصمة آل عثمان مستغيثاً بالسلطان فغضب السلطان على حسين باشا وأمر بطرده من البصرة ووجه قيادة الجيش إلى والى بغداد إبراهيم باشا فأجتمع الجنود العثمانية من البلاد فى بغداد فسار الوالى بجيش كبير قاصداً البصرة فى سنة ١٠٧٥ هـــ .

واتصـــل خبر هذه الحملة بحسين باشا فأستعد للحرب فالتقى الجيشان عند قـــلعة القورنـــة رحـــى الحرب بين الفريقين ثم حاصر إبراهيم باشا القورنة حصاراً شـــديداً وفى أثناء ذلك أرسل إلى البصريين كتباً يدعوهم للخضوع غلى السلطان ويحذرهـــم عاقبة العصيان ويعدهم ويمنيهم فثاروا على محمد بن فداغ نائب حسين باشـــا فقتلوه وقتلوا أعوانه وطردوا من البصرة عيال حسين باشا فبلغ ذلك حسين باشا وهو يومئذ محاصر فى القورنة فأرسل ثلاثة آلاف فارس من قبائل المنتفك وأهل الجزائـــر للتـــنكيل بالبصريين فهجموا عليهم ليلاً فقاتلهم البصريون داخل المدينة ولكنهم انكسروا وفروا فقتل الأعراب أحد الوجهاء الشيخ ذى الكفل وجماعة من الوجهاء وغيرهم ونهبوا وخربوا وأحرقوا دوراً كثيراً وفتكوا بالأهلين .

واســـتمرت الحـــرب بين إبراهيم باشا وبين حسين باشا ثلاثة أشهر فعجز الأول فاضـــطر إلى المصـــالحة وبعد مراسلات تم الصلح على شروط منها أن يدفع حســـين باشـــا نفقات هذه الحرب ستمائة كيس من النقود وأن يسلم فى كل سنة مائتى كيس من النقود إلى خزينة الدولة وأن يعيد متصرف الإحساء محمد باشا إلى منصبه . وتعهد إبراهيم باشا بصدور عفو السلطان وتوجيه إمارة البصرة إلى حسين

باشـــا وأخـــذ معه يحيى أغا بن على أغا صهر حسين باشا ليأخذ منشور السلطان بالإمـــارة ورجع إبراهيم باشا إلى بغداد وعاد حسين باشا إلى البصرة وانتهت هذه الفتنة فى سنة ١٠٧٦ هـــ .

ولمـــا رجـــع إبراهيم باشا إلى بغداد ومعه يحيى أغا انهزم أربعة من الكواوزة الذين ضاق بهم الحال مع حسين باشا لسوء سيرته وهم أحمد بن محمود وإبراهيم بن عـــلى وأثـــنان آخـــران [١] وانضموا إلى إبراهيم باشا ثم توجهوا مع يحيى أغا إلى الآســـتانة فـــأطمعوه بولايـــة البصرة فاتفق معهم وغدر بصاحبه وحميه حتى إذا ما وصـــلوا الآستانة شكى جميعهم إلى السلطان ظلم حسين باشا واستبداده واتفق فى تلك الأثناء وصول كتاب من وجهاء البصرة على السلطان مع جماعة منهم يشكون فيه أعمال حسين باشا وحكمه القاسى وأخذ الأموال بالباطل ، إذا أغتصب أموال الـــتجار والأعيـــان وفتك بكثيرين منهم بعد مصالحته مع إبراهيم باشا والى بغداد فأجـــتمع الوجوه سراً وكتبوا كتاباً على السلطان شكوا فيه ما يقاسونه من الظلم والعنف والاستبداد وأرسلوه مع جماعة منهم إلى العاصمة ليقدموه إلى السلطان .

فلما كثرت الشكوى على حسين باشا عند السلطان أصدر أمره بطرده من البصـــرة طرداً نهائياً وبتوجيه إمارتها إلى يحيى أغا ووجه إليه رتبة الوزارة فدعى يحيى باشا وأودعت قيادة الحملة إلى الوزير إبراهيم باشا والى بغداد ويروى أن قيادة هذه الحمـــلة كـــانت قد أودعت إلى الوزير قرة مصطفى باشا بأمر من السلطان محمد الـــرابع فى سنة ١٠٧٨ هـــ فأجتمع الجيش العثمانى ببغداد وانضمت إليه جيوش

---

[١] الكـــواوزة أو بيـــت الكواز ينسبون على الكواز الشيخ محمد المشهور بالكواز وهم أولاده ولهـــذا الـــبيت منزلـــة رفيعة بالبصرة والشايع أنهم من نسل العباسيين وهم المعروفون اليوم بآل باش اعيان .

الـــرفة والموصل وشهر زور وغيرها حتى بلغ عدد الجيش على ما قيل خمسين الف مقاتل .

وأتصل خبر هذه الحملة الكبيرة بحسين باشا فأستعد للحرب وصادر أموال الـــتجار والمثرين وأرسل أمواله وعياله على بلاد إيران وظل يجمع الجموع حتى بلغ عـــدد جيشـــه خمسة عشر ألف مقاتل فتوجه به نحو القورنة فأصدر أمره بإخلاء البصـــرة فأخلوها فى ثلاثة أيام وخرج أهلها من ديارهم فى أسوأ حال ثم أمره أهل القـــرى الـــتابعة للبصـــرة بالجلاء عن ديارهم فتركوها بعد أن نهبت رجاله أكثر أموالهـــم وقتـــلوا وعذبوا من خالف الأمر وكان الموظفون عى تخليه تلك الديار أعوان هذا الأمير القاسى الحكم منهم أحد مماليكه على بن أحمد بن شاطر وحسن ابن طهماز وغيرهما .

وألـــتقى جيش السلطان بجيش حسين باشا بالقرب من القرنة وبعد معارك دامـــت أياماً انكسرت جيوش حسين باشا فأضطر إلى أن يتحصن فى قلاع القورنة فأنهـــزمت عساكره ثانية واستولى الجيش التركى على قلاع القورنة فأعمل السيف فى أهـــلها وقـــد قتل فى هذه المعركة الأخيرة نحو الأربعة آلاف من الأعراب فأنهزم حسين باشا بحاشيته إلى بلاد إيران قاصداً شيراز فدخل الجيش العثمانى ظافراً وذلك فى سنة ١٠٧٨ هـــ [١] وانتهى أمر أستقلال الأمراء بالبصرة .

---

[١] وقيـــل فى سنة ١٠٧٩ هـــ ثم سار حسين باشا من شيراز إلى الهند وهناك تولى بعض المدن ثم قتل فى حرب حدثت بينه وبين أحد الولاة .

ولاة
البصرة الأتراك

دخـــل الجيش العثمانى البصرة فتولى ولايتها يحيى باشا ورتب جيشاً لحماية المديـــنة ونظم شؤونها ولكنه بعد أن عادت الجيوش إلى أماكنها وقوى أمره تغيرت ســـيرته فرفض قبول الدفترى (الدفتردار) التركى وأمتنع عن أداء نفقات الجيش ثم طـــرد الدفترى وأمراء الجيش وطلب أن ينفرد بالحكم على أن يؤدى فى كل عام مـــائتى كيـــس من النقود إلى خزينة الدولة وأستمر على عتوة منفرداً بالحكم حتى حدثـــت بينه وبين الانكشارية الذين فى القورنة فتنة بسبب تأخير مرتباتهم فأرسل لقـــتالهم فرساناً من القبائل العربية التى تحت حكمه فقتلوهم ونجا منهم من فر فبلغ ذلـــك الســـلطان فأصدر أمره بعزله وبتوجيه ولاية البصرة إلى قره مصطفى باشا المعـــروف بقبوجى باشى وذلك فى سنة ١٠٨٠ هـــ فسار الأمير الجديد بجيش من الأتراك فأستلم البصرة وبقى على إمارتها إلى سنة ١٠٨٣ هـــ فأبدل بمحافظ بغداد حسن باشا ثم عزل وتولى مكانه السلاحدار حسين باشا فى سنة ١٠٨٥ هـــ فظل عـــلى ولاية البصرة إلى أن نقل فى سنة ١٠٨٨ هـــ إلى ولاية ديار ديار بكر فأعيد عـــلى البصرة حسن باشا ثم طلبه السلطان فى سنة ١٠٩٢ هـــ وأرجع على ولاية البصرة السلاحدار حسين باشا ثم عزل فى سنة ١٠٩٤ هـــ ووجهت ولاية البصرة إلى الوزيـــر عـــبد الرحمن باشا وكان هذا الوزير من خيرة الولاة عالماً فاضلاً حسن السيرة والتدبير محباً للعلم والعلماء فجدد بناء المساجد وأحيا بعض المدارس وأسس

المدرسة المعروفة بالرحمانية (نسبة إليه) وخفف عن الأهلين بعض الضرائب ومن أجل ذلك أحبه البصريون حباً جماً ولكنه عزل فى سنة ١٠٩٨ هـ وتولى بدله حسين باشا الكمركجى فأساء السيرة وظلم الأهلين فعزله السلطان فى سنة ١٠٩٩ هـ وأعاد الوزير عبد الرحمن ففرح البصريون بعودته فلم يدم فرحهم إلا قليلاً لأن السلطان عزله فى سنة ١١٠٠ هـ وولى على البصرة دفتريها السابق حسين باشا ومنح له لقب الوزير أيضاً فثار فى أيامه سنة ١١٠٢ هـ الشيخ مانع أمير المنتفك وخرج على الدولة فحدثت بينه وبين حسين باشا هذا عدة معارك أنجلت عن إنكسار حسين باشا شر كسرة لعدم نصرة والى بغداد له وكانت النتيجة أن قوى أمر مانع فأستولى بعد انتصاره بقليل على جصان وبدره ومندلى . وعلى أثر ذلك عزل السلطان حسين باشا عن البصرة وأرسل بدله الوزير أحمد باشا ابن عثمان باشا .

هجمات المنتفكيين

على البصرة

تولى أحمد باشا البصرة فحدث فى أيامه طاعون شديد الوطأة فمات به خلق كثير من البصريين فأغتنم الأعراب فرصة انشغال البصريين وأميرهم بهذا المرض الفتاك فأتفق أهل الجزائر والمنتفكيون على غزو البصرة ونهبها فحمل عليها منهم ثلاثة آلاف فارس بقيادة أمير المنتفك الشيخ مانع فبلغ ذلك أحمد باشا فلم يتمكن من جمع جيش كاف لصدهم فخرج لقتالهم بخمسمائة فارس فالتقى بهم فى الدير

فتقاتلوا ثلاثة أيام فانجلت المعركة عن تمزيق جيش البصرة ووقوع أحمد باشا قتيلاً فى المعركة .

واتصـــل خبر هذه الحادثة بالبصريين فأتفقوا على تولية الكتخدا حسين أغا ليقـــوم بصـــد الأعراب فولوه عليهم فجمع منهم جمعاً كبيراً للدفاع وبينما هو فى ذلك إذ هجم الثائرون على المدينة فوقف لصدهم ودافع دفاع المستميت حتى تمكن مـــن طردهم ولكنه قتل بعد ذلك فى سنة ١١٠٣ هـــ فأتفق البصريون على نصب حسين الجمال والياً عليهم فقام بالأمر حتى وجهت الولاية إلى خليل باشا أخى والى بغـــداد أحمد باشا فى سنة ١١٠٤ هـــ فجمع خليل باشا جيشاً من بغداد وجائت إليه الجيوش نجدة من الموصل وشهر زور بأمر من السلطان لقتال أمير المنتفك مانع فقـــاد الحمـــلة بنفســـه حتى ألتقى بمانع فى الجزائر وبعد حروب دامت خمسة أيام انكسرت جيوش خليل باشا فأضطر إلى التقهقر فأستولى الأمير مانع على معسكره ونهب أمواله وذخائره وتحصن خليل باشا فى البصرة .

وقـــوى أمر مانع حتى أضطر السلطان إلى استمالته وكتب إليه كتاباً يدعوه فيـــه إلى الطاعة والخضوع وينصحه ويحذره عاقبة الشقاق والخلاف . وأصدر أمره بزيادة مخصصاته فخضع مانع لأمر السلطان وعاد إلى مقره وهدأت الأحوال .

استيلاء المنتفكيين
على البصرة

لما صفى الجو لخليل باشا والى البصرة أطلق العنان لأعوانه فأستبدوا بالأمور وظـلموا الأهلين وأضطهدهم على مرأى ومسمع منه حتى ضاق الحال بالبصريين فأتفقوا على طرده فثاروا عليه وطردوه هو وأعوانه وسلموا المدينة إلى أمير المنتفك الشـيخ مانع وذلك فى سنة ١١٠٦ هـ والظاهر أن الشيخ مانع هو الذى سبب هذه الثورة ليتسنى له الحكم بالبصرة .

وبقـى الشيخ مانع أميراً على البصرة إلى سنة ١١٠٩ هـ منفرداً بالحكم والدولـة العثمانية لا تبدى حراكاً لضعفها وكانت النتيجة أن خدع حاكم الخويزة فـرج الله خـان مانعاً وأستعمل عليه الحيل والدسائس والخداع حتى أخرجه من البصرة فأستولى عليها .

دخول البصرة
فى قبضة الفرس وإخراجهم منها

استولى فرج الله خان حاكم الحويزة على البصرة كما ذكرنا فلما استتب أمره فيها استخلف عليها أحد رجاله المدعو داود خان فدخلت البصرة تحت سيادة الفرس .

وبلغ خبر إستيلاء فرج الله خان على البصرة إلى السلطان فلم يشأ أن يتركها له وهو من ولاة الفرس المستقلين فى تلك الجهات فوجه ولاية البصرة إلى والى حلب على باشا وأمره بجمع العساكر من البلاد لقتاله وإخراجه من البصرة فأجتمعت الجيوش من حلب وديار بكر والموصل وسيواس وبغداد حتى بلغ عدد الجيش نحو الخمسين ألفاً على ما نقل فسار على باشا بالجيوش حتى وصل القورنة فى سنة ١١١١ هـ فسمع داود خان بقدوم هذا الجيش الكبير فأنهزم من البصرة فدخلها على باشا بدون قتال فدانت له المدينة وما يتبعها من القرى والقبائل فساد الأمن والسكون وعادت البصرة إلى الدولة العثمانية بعد أن ملكها حاكم الحويزة الفارسى نحواً من سنتين .

إستيلاء المنتفكيين على البصرة ثانية وطردهم منها

دخلت سنة ١١١٤ هـ فوجهت ولاية البصرة إلى محمد باشا القبودان فدام حكمه فيها إلى سنة ١١١٨ هـ فعزل وأرسل بدله الوزير خليل باشا فثار فى أيامه فى سنة ١١٢٠ هـ أمير المنتفك الشيخ مغامس وهجم على البصرة فأستولى عليها عنوة فأضطربت الأحوال وفقد الأمن وسادت الفوضى فبلغ ذلك السلطان فأصدر أمره إلى والى بغداد حسين باشا بجميع الجيوش وإخراج الأعراب من البصرة فصدع الوالى بالأمر وجائته النجدات بأمر السلطان من حلب والموصل وديار وشهر زور حتى أجتمع عنده جيش كبير فسار به قاصداً البصرة .

وأتصل خبر هذه الحملة بمغامس فجمع الجموع من المنتفكيين والنجديين واستعد للحرب وبنى قلعة كبيرة على نهر عنتر فى القورنة حشد فيها جموعه فوصله الجيش العثمانى فاحاط به من كل الجهات فدارت بين الطرفين حرب هائلة انتهت بهزيمة أمير المنتفك فى سنة ١١٢١ هـ فأحتل حسين باشا القورنة ثم توجه إلى البصرة فدخلها ظافراً فوجهت ولايتها إلى كتخدا بغداد مصطفى أغا وبعد ان نظم حسين باشا شؤون البصرة وجعل عليها حامية عاد إلى بغداد وعادت الجيوش إلى أماكنها وانتهت تلك الفتنة .

وبقيت ولاية البصرة تنتقل من وزير إلى آخر كلهم من الأتراك العثمانيين من سنة ١١٢٤ هـ إلى سنة ١١٥٦ هـ ولم يحدث فيها فى هذه المدة غير تبديل

الولاة وبعض الحوادث الطفيفة بين القبائل العربية تارة وبينهم وبين الولاة أخرى مما لا أهمية له .

إغارة
نادر شاه على البصرة

عندما خلع الشاه عباس الثالث الصفوى وتوصل القائد الفارسى نادر خان إلى الجلوس على عرش إيران وقرض الدولة الصفوية وأعلن ملوكيته فى سنة ١١٤٨ هـ وسمى نادر شاه ولقب نفسه بطهماسب الثالث طمع بالعراق فأشهر الحرب على الدولة العثمانية فأغار على البصرة والقورنة فى سنة ١١٥٦ هـ ثم توغل فى البلاد الفراتية ووصل الحلة ثم حاصر بغداد فى عهد الوزير أحمد باشا فلم يتمكن من أخذها وظلت الحرب بينه وبين الأتراك إلى سنة ١١٥٩ هـ فتم الصلح بينه وبينهم ولم تقف على تفاصيل هذه الغارة على البصرة والظاهر أنه لم يدخل المدينة .

وظل العثمانيون بعد هذه الحادثة يولون على البصرة متسلماً بعد متسلم إلى سنة ١١٨٨ هـ ولم يحدث فيها فى هذه الأعوام الطوال شيء يستحق الذكر سوى ثلاث حوادث الأولى ثورة أمير قشعم محمد بن مانع فى سنة ١١٣٧ هـ فأخضعه والى البصرة عبد الرحمن باشا ثم عفى عنه وأمنه بعد أن أخذ منه أموالاً كثيرة . والثانية هجرت الشيخ سليمان رئيس قبيلة بنى كعب والتجائه بكريم خان الزندى فى سنة ١١٧٨ هـ فأسكنه مع قبيلته بأرض الدورق . وصار تابعاً للفرس بعد ما كان تابعاً للدولة العثمانية بسبب ما قاساه من ظلم والى بغداد عمر باشا . والثالثة

صـــدور أمر والى بغداد عمر باشا إلى متسلم البصرة سلام أغاسى محمد أغا بقتل جماعة من الوجوه وبمصادرة أموال بعض القبائل مما سبب الاختلال بالبصرة .

إستيلاء كريم خان الزندى على البصرة

كانت أحوال البصرة مضطربة جداً فى عهد والى بغداد عمر باشا فى الوقت الـــذى كـــان فيه أمر كريم خان الزندى المتغلب على مملكة إيران قد قوى فاغتنم فرصـــة ذلك الاضطراب فأعلن الحرب على العثمانيين وأرسل أخاه صادق خان بجيش كبير فى أواخر سنة ١١٨٨ هـــ فحاصر البصرة ومعه الشيخ سلبمان رئيس بـــنى كعب بقبائله وعلى البصرة يومئذ متسلماً سليمان بك أحد المماليك الأتراك المعـــروف بـــأبى سعيد الذى تولى إمارتها فى سنة ١١٨٢ هـــ . فدام الحصار ثلاثة عشـــر شهراً فى عهد السلطان عبد الحميد الأول حتى أضطر المتسلم سليمان بك الدفـــاع الطويل إلى التسليم فى سنة ١١٩٠ هـــ (وسبب ذلك تقاعد والى بغداد عمـــر باشـــا عـــن نصرته مع أن السلطان كان قد أرسل نجدة ومالاً لصد الفرس وأرســـل جماعـــة مـــن القواد الكبار إلى بغداد ليجهزوا الجيوش فطمعوا بالمناصب والأمـــوال وتقاعدوا عن أمر البصرة ثم حدثت بينهم فتن عديدة مما لا محل لذكرها فى هـــذا المختصـــر على أن المنتفكيين كانوا قد جاؤا نجدة للبصريين وقاتلوا معهم ولكنهم لما طال أمد الحصار رجعوا إلى مواطنهم) .

ولمـــا دخـــل صادق خان البصرة بعد أن أمن المتسلم والوجوه أسر المتسلم وجماعـــة من الأشراف والأعيان والتجار وساقهم مخفورين إلى شيراز عاصمة أخيه

كـــريم خـــان وأضـــطهد الأهلين حتى إذا ما كانت سنة ١١٩٢ هـــ حدثته نفسه بالإســـتيلاء على بلاد المنتفك فجهز جيشاً كبيراً فسيره بقيادة أخيه محمد على خان وعـــلى المنتفك فجهز جيشاً كبيراً فسيره بقيادة أخيه محمد على خان وعلى المنتفك يومئذ الأميران ثامر بن سعدون وثويني بن عبد الله . فبلغ ذلك المنتفكيون فأستعدوا للقـــتال وأجـــتمعوا بالفصـــيلة (ويروى الفضيلة) قرب الفرات فألتقى الجيشان فأســـتمرت الحرب يوماً وليلة وكانت حرب عنيفة فأنجلت عن انهزام الفرس اشنع هزيمة بعد أن قتل منهم عدد كبير فلحق المنتفكيون المنهزمين وطاردوهم فغرق عدد كثير من الفرس فى الفرات وغنم المنتفكيون أموالهم وخيولهم وعادوا منصورين إلى مواطنهم .

أمـــا صداق خان فأنه حنق على المنتفكيين حنقاً شديداً عند وصول شراذم جيشه المنهزمين وصمم على الانتقام منهم فجهز فى سنة ١١٩٣ هـــ جيشاً جديداً لغـــزوهم وصبره بقيادة محمد على خان أيضاً وأرسل معه أخاه الآخر مهدى خان والشـــيخ سليمان رئيس بنى كعب بقبائله العربية القحطانية. فبلغ خبر تلك الحملة المنـــتفكين فأســـتعدوا للحرب فألتقى الجمعان بأبى حلانة فأراد المنتفكيون الصلح عندما شاهدوا كثرة العدد والعدد غير أن نفوسهم ابت قبول الشروط التى شرطها القـــائد الفارسى ففضلوا الموت على الذل فجرت بين الفريقين حرب دموية هائلة استمات فيها العرب فهجموا هجمات عنيفة لم يسمع بمثلها فأنتهت الحرب بتمزيق الجيـــش الفارسى ووقوع القائد محمد على خان وأخوه مهدى خان قتيلين مع من قـــتل مـــن الفرس فأنهزم من بقى منهم فطاردهم العرب وحتموا قلولهم إلى البصرة وهـــناك حاصروهم فيها بعد أن غنموا منهم أموالاً وسلاحاً وخيلاً وأتفق فى أثناء ذلك موت كريم خان الزندى ووصول نعيه إلى البصرة.

فـــلما دخل المنهزمون من الفرس البصرة وحاصر العرب المدينة حتى ضيقوا عـــلى حاميـــتها خاف صادق على نفسه من أن يمد والى بغداد المنتفكيين فيقع فى الأسر وقد أصبح بعد موت أخيه وحيداً لا ناصر له خصوصاً وأن زكى خان كان قـــد تغـــلب على عرش إيران فأنهزم من البصرة ليلاً باتباعـــــه فى السنة نفسها ١١٩٣ هـــــ فدخـــلها المنتفكيون وكتبوا بذلك إلى حكومة بغداد وعلى ولايتها يومـــئذ الكتخدا إسماعيل بك وكيلاً فأرسل إلى البصرة متسلماً نعمان بك وانتهت هذه الحادثة بعد ان دام حكم الفرس بالبصرة نحواً من ثلاث سنوات .

تســـلم نعمان بك متسلمية البصرة وعلى أثر وصوله أطلق الفرس الاسراء ومن جملتهم سليمان بك المتسلم فأرجعه السلطان إلى منصبه بعد أيام قليلة ثم وجه إليه بعد أشهر ولاية العراق فعرف بالوزير سليمان باشا الكبير وبعد وصوله بغداد بأيام أرسل سليمان أفندى متسلماً للبصرة فى سنة ١١٩٤ هـــ .

وفى أيام سليمان أفندى المتسلم فى سنة ١١٩٩ هـــ ثار أمير خزاعة حمد بن حمـــود على الحكومة فشن الغارات على أطراف البصرة فأستنجد المتسلم بسليمان باشـــا فجهـــز له جيشاً كبيراً فالتقى الجيش بالثائر فى الأهواز فأنتصر عليه وفرق جموعـــــه وفـــــر حمود إلى الحسكة وعلى أثر ذلك عزل سليمان أفنـــدى فى سنة ١٢٠٠ هـــ وأرسل بدله من بغداد إبراهيم بك متسلماً على البصرة .

استيلاء المنتفكيين على البصرة

كان قد خرج على حكومة بغداد رجل يدعى عجم محمد فجمع الجموع من أهـل البلاد والقبائل فقاتله الوزير سليمان باشا حتى مزق جموعه فتلاه سليمان بك الشـاوى فثار أيضاً على الوزير طمعاً فى منصبه وحاول على ما ينقل تأسيس دولة عـربية فى العراق ولكنه فشل وتمزقت جموعه فالتجأ بأمير المنتفك ثوينى بن عبد الله كمـا ألـتجأ عجم محمد بأمير خزاعة حمد بن حمود فأغرى كل منهما صاحبه على الـثورة فـأتفق الجميع على قتال سليمان باشا وخلعه من ولاية العراق فأجتمعوا وأعلـنوا الخروج فحملوا على البصرة وزعيمهم أمير المنتفك ثوينى ولكن كل من الأربعـة يـريد الولاية لنفسه . فهجموا على البصرة فى أواسط سنة ١٢٠٠ هـ وبعـد حـرب طفيفة استولوا عليها وقبضوا على متسلمها إبراهيم بك فحبسوه وصـادروا أموالـه ثم نفوه إلى مسقط وصادروا أموال أكثر التجار وجبوا الرسوم والضرائب وضيقوا على الناس حتى اضطر أكثرهم إلى الهجرة إلى بغداد وغيرها .

واتصل خبر هذه الحادثة بالوزير سليمان باشا فجهز جيشاً كبيراً من العرب والأكـراد والأنكشـارية وغيرهم وسار به نحو البصرة على طريق المنتفك وهناك التقى بالثائرين فى محل يسمى أم العباس فأوقع بهم ومزقهم فأنهزم أميرهم ثوينى فولى الوزيـر على المنتفك أميراً جود بن ثامر بن سعدون ثم صار إلى البصرة فأنهزم منها مـن كان فيها من الثائرين فدخلها بسلام فى أواخر سنة ١٢٠١ هـ وبعد أن نظم شـؤونها ولى عليها متسلماً مصطفى أغا الكردى وجعل لحمايتها فرقة من عساكر الأكراد وعاد هو ومن معه إلى بغداد .

القلاقل فى البصرة
وغارة أمير نجد عليها

بقـى مصـطفى أغا الكردى على البصرة إلى سنة ١٢٠٣ هـ فأمتنع عن إرسـال الخـراج إلى بغداد وعصى على الحكومة وبعد حوادث طويلة قتل رئيس بـوارج الدولة مصطفى أغا الحجازى وسعى فى إيقاد ثورة فى البلاد ولكنه لم ينجح فى مسـعاه فـزحف عـليه الوزير سليمان باشا بجيشه حتى دنى من البصرة فأنهزم مصـطفى أغـا إلى الكويت فدخل الوزير البصرة فولى عليها متسلماً عيسى بك المارديني وذلك فى سنة ١٢٠٤ هـ .

وظـل عيسى بك فى منصبه إلى سنة ١٢٠٨ هـ فعزله الوزير وأرسل بدله عـبد الله أغـا فمكـث فى منصبه إلى سنة ١٢١٣ هـ فحدث بينه وبين الوزير سـليمان باشـا خلاف فعصى عليه فجهز الوزير لقتاله جيشاً فأنهزم عبد الله أغا ولكنه بعد أيام قليلة سار إلى بغداد وخضع للوزير وطلب عفوه فعفى عنه وأرجعه إلى منصـبه فى سنة ١٢١٤ هـ فدام حكمه فى البصرة إلى سنة ١٢١٦ هـ فعزله الوزير وأرسل بدله صهره سليم بك .

ولما مات الوزير سليمان باشا الكبير ببغداد فى سنة ١٢١٧ هـ عزل صهره سليم بك عن البصرة [1] وأرسل بدله إبراهيم أغا متسلماً .

---

[1] وسليمان باشا هذا هو الذى جدد سور البصرة وأسواقها وعمر قصبة الزبير .

وفى أيام المتسلم إبراهيم أغا هذا فى سنة ١٢٢٠ هـ زحف أمير نجد سعود ابن عبد العزيز بجموعه على البصرة فهجم عليها فدافع المتسلم دفاعاً شديداً حتى ضاق الحال بأهل المدينة فأستغاثوا بالمنتفكيين فجائهم حمود بن ثامر بجموعه نجدة فأضطر أمير نجد إلى الانسحاب ولكنه عند عودته أحرق بعض القرى ونهب وخرب.

وعزل المتسلم إبراهيم أغا فى سنة ١٢٢٣ هـ وأرسل بدله من بغداد سليم بك فأستقر أمره فى البصرة حتى إذا ما كانت سنة ١٢٢٥ هـ حدث بينه وبين الوزير سليمان باشا القتيل وحشة فأوعز الوزير إلى أمير المنتفك حمود بن ثامر بطرده من البصرة فحمل عليه حمود ففشل المتسلم وتفرقت جموعه فأضطر إلى الهزيمة فدخل حمود البصرة وكتب بذلك إلى الوزير فأرسل أخاه أحمد بك متسلماً للبصرة فى السنة نفسها .

وعلى أثر الوزير سليمان باشا الصغير (أو القيل) عزل أخوه أحمد بك عن البصرة ووجهت متسلميتها إلى رضوان أغا فى سنة ١٢٢٦ هـ ثم عزل وأرسل بدله يعقوب أغا سنة ١٢٢٧ هـ فعزل ايضاً فى سنة ١٢٢٨ هـ وتولى مكانه سعيد أغا فعزل بعد سنة وأرسل بدله فى سنة ١٢٢٩ هـ بكر أغا فمكث هذا فى منصبه إلى سنة ١٢٣٦ هـ فعزل وخل مكانه محمد كاظم أغا بانى السوق المعروف اليوم بسوق كاظم أغا . وفى أيامه خرج على الحكومة محمد بن ثاقب بن وطبان الزبيرى فهجم بجموعه على قصبة الزبير أولاً. فصده عنها أهلها بمساعدة آل الزهير ثم قصد البصرة فجمع كاظم أغا الأهلين وضم إليهم جيشه فدافع حتى تمكن من طرد الثائر .

وعزل كاظم أغا فى سنة ١٢٣٩ هـ فعين متسلماً على البصرة عبد الغنى أغا فعزل بعد سنة .

غارة المنتفكيين
وهجوم بنى كعب على البصرة

تولى متسليمة البصرة فى سنة ١٢٤٠ هـ عزيز أغا وكان أهلاً لهذا المنصب فدام حكمه إلى سنة ١٢٤٧ هـ وفى أيامه فى سنة ١٢٤٣ هـ عزل الوزير داود باشا حموداً عن إمارة المنتفك لأمور نقمها عليه وولى بدله على المنتفك عقيل بن محمد بن ثامر فثار غضب حمود وأعلن الخروج على الدولة وجمع الجموع وسيرها بقيادة ابنيه ماجد وفيصل لأخذ البصرة وخشى الفشل فراسل سلطان مسقط السيد سعيد ورؤساء بنى كعب يطلب منهم النجدة فجائته نجده مسقط فى السفن ونجدة بنى كعب على الخيل ، فنزل ماجد بالجيش البرى قريباً من نهر معقل [1] ونزل فيصل بالجيش البحرى أو النهرى بأبى سلال فلما تكاملت الجيوش حاصرا البصرة براً ونهراً فدافع البصريون دفاعاً شديداً وعاضدهم بنو عقيل النجديين وقاتلوا معهم فدامت المعارك بين الفريقين نحواً من شهرين فانجلت عن هزيمة الهاجمين فى السنة نفسها .

وفى أيامه ف سنة ١٢٤٦ هـ على أثر عزل الوزير داود باشا وأسره وتولية إمارة العراق على باشا اللاظ هجمت عشيرة بنى كعب على البصرة فقاتلهم البصريون بزعامة آل الزهير ومعاضدة بنى عقيل النجديين فطردوهم خاسرين .

---

(١) نهر معقل أحد انهار البصرة القديمة وينسب إلى معقل بن يسار بن عبد الله الذى أحتفره ومعقل هذا من مشاهير البصرة وقد توفى فى أيام معاوية بن أبى سفيان .

وعلى أثر هذه الحادثة عزل على باشا أغا وأرسل بدله متسلماً على البصرة عبد القادر باشا فمات هذا بالبصرة فى مرض الطاعون بعد بضعة أشهر من توليته . وعزيـــز أغـــا هذا هو الذى جدد بناء مسجد بدر المتصل بسوق كاظم أغا فعرف بجامع عزيز أغا .

البصرة بعد الوزير داود باشـــــا

كـــانت البصرة فى عهد الوزير داود باشا أمير العراق قد أخذت تدب فيها روح المدنيـــة ولكـــنها مـــا كانت تنجو من ظلم متسلميها المستبدين من المماليك الأتراك [١] حتى إذا ما انتهت حكومة المماليك من العراق فى سنة ١٢٤٧ هـــ بعد أسر الوزير داود باشا وشرع ولاة بغداد فى بعض الإصطلاحات نالت البصرة شيئاً قـــليلاً من ذلك الإصطلاح وظلت تابعة تارة لولاة بغداد يولون عليها من شاؤا من أعوانهـــم وأحياناً يرشح الولاة من أرادوا فيصدر أمر السلطان بتعيينه وآونة يرسل السلطان متسلماً عليها من عاصمته ، وبقى الحال على ذلك إلى سنة ١٢٨٨ هـــ بعد عزل الوزير مدحت باشا فأنفصلت البصرة عن ولاية بغداد وربطت بالعاصمة (الآســـتانه) وصار السلطان يرسل إليها المتصرفين تارة والولاة أخرى ولكن أهلها

---

(١) وقـــد حكم البصرة جماعة كبيرة من المماليك الأتراك أشهرهم سليمان بك الذى تولى متسلميتها فى سنة ١١٨٢ هـــ وسليم بك الذى قتله عبد الله باشا والى بغداد فى سنة ١٢٢٥ هـــ .

ذاقـــوا مرارات أنواع المظالم من أولئك الرجال الذين تواردوا عليها ممن لا يهمهم غير جمع الأموال بحق أو بغير حق ولا تأخذهم فى قبول الرشوة لومة لائم .

ومن الحوادث التى جرت بعد عهد الوزير داود باشا . أخذ عدة مقاطعات مـــن الشيوخ كأراضى مهيجران ونهر حوز وغيره من المنتفكيين وضمها إلى أموال الدولـــة فى عهد والى بغداد رشيد الكوزلكى فى سنة ١٢٧٣ هـــ وأخذ مقاطعات أخـــرى مـــن بعض رؤساء القبائل وضمها إلى خزينة الدولة فى أيام نامق باشا والى بغداد فى سنة ١٢٨٢ هـــ وسبب ذلك على ما نقل أنهم كانوا قد تغلبوا على تلك الأراضى وأخذوها من الحكومة يوم ضعفها بغير حق .

ومنها هياج وجوه البصريين على المتسلم سليمان بك التركى [1] الذى تولى البصـــرة فى ســـنة ١٢٨١ هـــــ فظلم أهلها وابتز أموالهم حتى اضطروا إلى رفع الشـــكوى إلى والى بغداد تقى الدين باشا فأكتفى الوالى بتفريعه فلم ينته فلما تولى ولاية بغداد نامق باشا رفعوا شكواهم إليه فعزله .

ومـــنها أن الحكومة بدأت بأخذ الضريبة على النخيل على حساب الجريب مـــنذ ســـنة ١٢٨٢ هـــــ ثم ربطت أكثر مقاطعات البصرة برسم الجريب فى سنة ١٢٨٦ هـــــ وفوضـــت فى الســـنة نفســـها أكثر الأراضى الأميرية ببدل المثل . وأسســـت دائـــرة البلدية فى المدينة ثم اردفتها بتأليف محكمة التمييز وسيرت سفناً بخاريـــة فى دجـــلة بين بغداد والبصرة فى سنة ١٢٨٥ هـــ فى عهد الوزير الخطير مدحـــت باشـــا. ومـــنها نصب ناصر باشا السعدون والياً على البصرة فى سنة ١٢٩٢ هـــ وجعلها ولاية بعد أن كانت متصرفية وعزل باشا فى سنة ١٢٩٤ هـــ وأرجاع البصرة متصرفية فى سنة ١٢٩٧ هـــ .

---

[1] وسليمان بك هذا من المماليك الأتراك ويقال أنه جاء من الآستانة منفياً إلى بغداد وهو والد محمود شوكت باشا الشهير .

البصرة فى عهد السلطان عبد الحميد خان الثانى

كانت البصرة متصرفية إلى أيام السلطان عبد الحميد الثانى وظلت على حالها حتى إذا ما كانت سنة ١٣٠١ هـ جعلت ولاية عثمانية فتوالى عليها الولاة الأتراك الذين كانوا يرسلون من الآستانة وكان معظمهم من المستبدين فى الأحكام لا يبالون بالظلم وقبول الرشوة وابتزاز أموال الناس من أى وجه كان ولا يهمهم غير منافعهم الشخصية إلا من ندر منهم ولم يحدثوا إصلاحاً يذكر ولا قاموا بعمل حيوى ، ومن أشهر هؤلاء الولاة المشير نافذ باشا الذى تولى سنة ١٣٠٥ هـ وهداية باشا المتولى سنة ١٣٠٩ هـ وفخرى باشا الذى تولى وكالة الولاية فى سنة ١٣٢٢ هـ ومخلص باشا المتولى سنة ١٣٢٢ هـ غير أن هذين الأخيرين من خيرة الولاة الذين جاؤوا فى العهد الحميدى خصوصاً مخلص باشا فأنه كان من المصلحين.

على أننا لا ننكر أن هذه المدينة زادت عمارتها ونفوسها فى عهد السلطان عبد الحميد خان الثانى وصارت حسنة الأسواق كثيرة العمائر مع ما كان يحدث فى ذلك العهد من الأضطرابات بسبب هجمات اللصوص عليها إذا كانت فيها يومئذ عصابات مؤلفة من الأعراب والعبيد المتشردين فكانوا يهجمون على المدينة تارة ليلاً وأحياناً نهاراً فيدخلونها بصورة مريعة فيقتلون وينهبون ثم يعودون إلى أماكنهم بعد أن يأخذوا ما شاؤا من النقود التى للتجار سواء كانت فى الدور أم فى المخازن أم فى الأسواق وعداً ذلك فقد كانت الطرق فى أكثر الأحيان يقطعها اللصوص أو

الأعـــراب الـــثائرين على الحكومة فينقطع سير البواخر فى دجلة ويمكننا أن نقول كانت الفوضى ضاربة أطنابها فى البصرة وما حولها فى العهد العثمانى الأخير .

أمـــا العلوم فلم يكن لها أثر فى هذه المدينة ولا كان فيها غير عدد قليل من المدارس الابتدائية الرسمية التى أسست فى العهد الحميدى .

ومهمـــا كـــانت حالة البصرة غير مرتاحة فى عهد عبد الحميد فأنها كانت يومـــئذ قـــد زادت عمارتهـــا وتوسعت وأخذت تجارتها بالرقى وزادت ثروة أهلها وكثرت نفوسها بسبب كثرة القادمين إليها للأتجار من بلاد مختلفة .

البصرة بعد

اعلان الدستور

أخـــذت هذه المدينة تسير نحو الرقى والعمران منذ أعلنت الدولة العثمانية الحكـــم بالدســـتور فى سنة ١٣٢٦ هـــ وقلت هجمات عصابات اللصوص عليها وجـــرى فيها بعض الإصلاح. ومن أشهر ولاتها فى ذلك العهد عارف بك الماردينى الذى تولى فى أول سنة ١٣٢٧ هـــ وسليمان نظيف بك الكاتب التركى المشهور المتولى فى آخر سنة ١٣٢٧ هـــ ولولا الفتن التى كانت تثيرها يد المغرضين حينذاك لـــزهت البصرة فى تلك الأيام . ويمكننا أن نقول أنها ارتاحت كثيراً فى ذلك العهد وأن حدثـــت فيها بعض الأضطرابات التى لا نرى الوقت مساعداً لذكرها فى هذا المختصـــر ويحق لنا أن نقول أن البصرة لم تر عهداً بعد العصر العباسى الأول مثل عهد الدستور من حيث النهضة التجارية والحركة العمرانية والنظام والانتظام .

سقوط البصرة
بيد البريطانيين

قامت الحرب العامة فى أواخر سنة ١٣٣٢ هـ وعلى البصرة يومئذ وكيلاً للولاية القائد صبحى بك وكانت الحكومة العثمانية قد سيرت أكثر الجنود العراقية إلى جهات قفقاسيا وأرسلت جيشاً ضعيفاً نحو الخمسة آلاف جندى أكثرهم من العراقيين إلى البصرة وسدت شط العرب عند الفاو فهجم أسطول البريطانيين على الفاو فى منتصف شهر ذى الحجة من السنة المذكورة فأندحر الجيش العثمانى بعد بضعة أيام ثم أنسحب من البصرة فى آخر يوم من هذا الشهر فدخل البريطانيون المدينة فى اليوم الثانى من محرم سنة ١٣٣٣ هـ ثم سقطت القورنة فى ٢٠ محرم سنة ١٣٣٣هـ بعد معارك عنيفة قام بها القائد العثمانى صبحى بك حتى نفذت ذخائره الحربية فأضطر إلى التسليم.

وحاول العثمانيون استرداد البصرة من البريطانيين فجمعوا جيشاً كبيراً فحدثت بين الفريقين حروب دامت ثلاثة أيام فى الشعيبة فأنتهت بفشلهم وبأنتحار القائد سليمان عسكرى بك وذلك فى شهر جمادى الأخرة سنة ١٣٣٣هـ وعلى أثر ذلك سقطت العمارة فى أوائل شهر رجب ثم سوق الشيوخ فى أوائل رمضان ثم الناصرية فى اليوم التاسع من رمضان وبقيت الحروب بين الدولتين حتى سقطت بغداد بيد البريطانيين فى ١٥ جمادى الأولى سنة ١٣٣٥ هـ الموافق ١١ آذار سنة ١٩١٧ م .

المراجع والمصادر

معجم البلدان	لياقوت الحموى
وفيات الأعيـــــان	لابن خلكان
الأخبار الطوال	لأبى حنيفة
الدعـــــــاه	
التمدن الإسلامى	لجرجى زيدان
دائرة المعـــارف	لفريد وجدى
تاريخ ابن الأثير	
تاريخ الأمير حيدر	
قرة العين فى تاريخ بغداد والبصرة وبين النهرين	لرشيد السعدى
خلاصة تاريخ العراق	للأب أنستانس
الفوز بالمـــــراد	للأب أنستانس
تاريخ الأدب العربى	
تاريخ أحمد رفيق التركى	
تاريخ نعيما التركى	
سالنامة البصرة لسنة ١٣١٨ هـ	محمد نجيب بك آل بابان
مطالع السعود	
القرمـــــــانى	
التحفة النبهانية	للشيخ محمد النبهانى
زاد المسافر	لفتح الله العكى
تقويم العراق لسنة ١٩٢٣ م	لصاحب جريدة العراق رزوق أفندى
نزهة المشتاق فى تاريخ يهود العراق	ليوسف أفندى غنيمة